

إن للمـــوت لســـــكرات

إن للمــوت لسكرات

ذكر سكرة الموت كـفيل برجفة تدب في الأوصال. وإنه لـيرجف صداها وهو بعد في عالم الحياة! فكيف به حين تقال له وهو يعاني السكرات.

● قال رسول اللّه ﷺ : «**لا إله إلا اللّه إن للموت لسكرات**»(١) .

يقولها ﷺ وقد اختار الرفيق الأعلى واشتاق إلى لقاء اللّه.

فكيف بِمَن عداه؟ فكيف بالظالمين؟ ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ .

مشـهد مفـزع مرعب مـكروب مرهـوب، ولفظ الـغمرات يـلقي ظـله المكروب.

جعل العبـد الصالح عمر بن الخطـاب رضي الله عنه يقول: لو أن طلاع الأرض ذهبًا لافتديت من هول المطلع.

ويبكـي أحد العُبّاد ويـقول: لا أحب الموت، ولمـا يُسئل عن ذلـك يقوم يخطّ الأرض بقدمه ويقول: رؤية ملك الموت، رؤية ملك الموت.

● لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه عبد اللّه: يا أبتاه، إنك قد كنت تقول لنا: ليتني كنتُ ألـقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد؛ وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت.

قال: واللّه يا بني لكأن جَنْبَيَّ في تخت(٢) ، وكأني أتنفّس من سَمِّ إبرة،

---

(١) رواه أحمد، والبخاري عن عائشة.

(٢) من معاني التخت: وعاء تُصان فيه الثياب.

وكأن غصن الشوك يُجَرّ به من قدمي إلى هامتي. ثم قال:

ليتني كنت قبل ما بدا لي   في قلال[(١)] الجبال أرعى الوعولا

والله ليتني كنتُ حيضًا أعركتني الإماء بدريب الإذخر[(٢)].

هذا لعمرو التقي الصالح فكيف بالسكرات للطالح؟!

- قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾.
- وقال تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[ق: ١٩].
- قال ابن كثير: «يقول الله عز وجل: وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿**ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ أي: هذا هو الذي كنت منه تفرّ قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه لما تغشّاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: «**سبحان الله إن للموت لسكرات**».

وفي قوله: ﴿**ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ قولان:

- **أحدهما:** أن «ما» ها هنا موصولة أي: الذي كنت منه تحيد بمعنى تبتعد

---

(١) القلال: جمع قُلّة، وقُلّة كل شيء: قمته وأعلاه.

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٩٣). الحيض: الخرقة التي تستثفر بها الإماء. وعركه: أي دلكه. الإذخر: نبات.

وتتناءى وتفرّ قد حلّ بك ونزل بساحتك.

● **والقول الثاني**: أن «ما» نافية بمعنى: ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه.

● وقال تعالى: ﴿**كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**﴾[القيامة: ٢٦ ـ ٣٠].

● قال ابن جرير الطبري: «إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها.

قال ابن زيد: التراقي: نفسه.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**مَنْ رَاقٍ**﴾:

قال عكرمة: هل من راق يرقى.

وقال أبو قلابة: هل من طبيب شاف.

وقال ابن زيد: قال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر اللَّه الذي قد نزل به شيئًا.

وقال الضحاك بن مزاحم: هو الطبيب.. هل من مداو.

وقال قتادة: أي التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء اللَّه شيئًا».

إن الطبيب له علم يدل به ... ما كان للمرء في الأيام تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رحلته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

وقال ابن زيد أيضًا: أين الأطباء، والرُّقاة: من يرقيه من الموت.

● وقال آخرون: بل هذا من قول الملائكة بعضهم لبعض، يقول بعضهم لبعض: من يرقي بنفسه فيصعد بها.

عن ابن عباس قال: إذا بلغت نفسه، قالت الملائكة: من يصعد بها،

ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟.

وهذا قول أبي الجوزاء.

وقوله: ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾: أيقن الذي قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال والولد.

قال قتادة: استيقن أنه الفراق.

وقال ابن زيد: لا يدري يموت من ذلك المرض أو من غيره؟ فالظن كما ها هنا هذا.

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: والتفت شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة:

● قال ابن عباس: الدنيا بالآخرة شدة.

وعن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ يقول: آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة، إلا من رحم اللَّه.. وفي رواية أخرى: ألم تسمع أنه يقول: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾.

وقال مجاهد: التفّ أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت.

وقال: آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة.

● وقال قتادة: قال الحسن: ساق الدنيا بالآخرة.

وقال قتادة: الشدة بالشدة، ساق الدنيا بساق الآخر.

وعن ابن مجاهد: هو أمر الدنيا والآخرة عند الموت.

وعن الضحاك: أهل الدنيا يجهّزون الجسد، وأهل الآخره يجهزون الروح.

وقال: اجتمع عليه أمران: الناس يجهّزون جسده، والملائكة يجهزون روحه. وقال: هما الدنيا والآخرة.

وقال إسماعيل بن أبي خالد: عمل الدنيا بعمل الآخرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: التفَّت ساقا الميت إذا لفّتا في الكفن.

قال الحسن: لفهما في الكفن، هما ساقاك إذا لفتا في الكفن.

● وقال آخرون: بل معنى ذلك: التفاف ساقي الميت عند الموت.

قال عامر: ساقا الميت عند الموت.

وقال أبو مالك: عند الموت.

وقال الحسن: ساقا ابن آدم عند الموت.

وقال قتادة: أما رأيته إذا ضرب برجله رجله الأخرى.

ماتت رجلاه فلا يحملانه إلى شيء فقد كان عليهما جوّالا.

وقال آخرون: عنِي بذلك يبسهما عند الموت وهذا قول أبي مالك.

● وقال آخرون: بل عُني بذلك: والتف بلا ببلاء وهو قول مجاهد.

● قال ابن جرير ـ رحمه اللَّه ـ:

«وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة وذلك شدّة كرب الموت بشدة هول المطلع، والذي يدل على أن ذلك تأويله، قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ والعرب تقول لكل أمر اشتد: قد شمّر عن ساقه، وكشف عن ساقه، ومنه قول الشاعر:

إذا شمّرتْ لَكَ عن ساقها فَرنها ربيعُ ولا تسأمِ

عني بقوله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ التصقت إحدى الشدتين بالأخرى»(١).

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/ ١٩٤ ـ ١٩٨).

قال الفرّاء في «معاني القرآن» (٣٥٠): أتاه أول شدة أمر الآخرة، وأشد آخر أمر الدنيا.

• قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧].

• قال ابن كثير: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي: الروح، ﴿الْحُلْقُومَ﴾ أي: الحلق، وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ولهذا قال ها هنا: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بملائكتنا، ﴿وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: ولكن لا ترونهم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ معناه فهلاّ ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرّها من الجسد إن كنتم غير مدنيين.

قال ابن عباس: يعني: محاسبين، وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حرزة مثله.

• وقال سعيد بن جبير والحسن البصري: ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون

فردّوا هذه النفس.

● وقال مجاهد: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير موقنين.

● وقال ميمون بن مهران: غير معذبين مقهورين»[١].

● يا لها من ساعة لا تشبهها ساعة، يألم فيها أهل التقى فكيف بأهل الإضاعة؟

مَنْ لك إذا ألمّ الألم، وسكت الصوت وتمكّن الندم وأقبل لأخذ الروح ملك الموت.

وتبدّلت بعد الحركات السكون؟.

مَن لك عند كرب السياق، وترادف الحشارج، وتتابع الأنين، واختلاف الأضلاع، واصطكاك الأسماع، هذا الظاهر الذي نراه فما هُو المغيب عنّا كيف برؤية ملك الموت ولم تره من قبل؟.

هنا قرب الزِّيال وأزوف الانتقال، وعَلَز القلق، وألم المضض، وغُصَص الجَرض، وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والأقرباء، والأعزّة والقرناء، فهل دفعت الأقارب؟ أوْ نفعت النواصب؟ لا واللّه.

● يا لها من سكرة ملهثة، وغمرة كارثة، وأنّة موجعة، وجذبة مكربة، وسَوْقة مُتعبة.

وقد أتوْا بطبيب كي يعالجني … ولم أر الطبيب اليوم ينفعني
واشتد نزعي وصار الموت يجذبها … من كل عرق بلا رفق ولا هون
واستخرج الروح مني في تغرغرها … وصار في الحلق مرًّا حين غرغرني
وسل روحي وظل الجسم منطرحًا … على الفراش وأيديهم تقلّبني

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠٠ - ٣٠١).

● **قال الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ:**

«اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديرًا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك.

وقال لقمان لابنه: يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك. والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جدي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وعنه غافل، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور.

واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إلا بالقياس إلى الآلام التي أدركها الاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه. فأما القياس الذي يشهد له: فهو أن عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو جرح، أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم، والمؤلم ينفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم، فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده!.

● والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم، فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك

الموضع الذي أصابته الشوكة، وإنما يعظم أثر الاحتراق؛ لأن أجزاء النار تغص في سائر أجزاء البدن، فلا يبقى من العضو المحترق ظاهرًا وباطنًا إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية في سائر أجزاء اللحم.

• **وأما الجراحة:** فإنما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط، فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار، فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم، فلا تسأل عن كربه وأنه، حتى قالوا: إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض؛ لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المقاول المباشر نفس الروح؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه؛ لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه، وبلغ كل موضع منه فهدّ كل قوّة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوّة الاستغاثة.

• **أما العقل:** فقد غشيه وشوّشه، وأما اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد ضعفها. ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك.

قال شداد بن أوس: الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور، ولو أنّ الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة،

وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هوّن عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار. وعن بعضهم: أنه كان يسأل كثيرًا من المرضى كيف تجدون الموت؟ فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده؟ فقال: كأن السماوات مطبقة على الأرض وكأنّ نفسي يخرج من ثقب إبرة»[١].

وقال كعب عن الموت: إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ، وأبقى ما أبقى.

● لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت بها من هول المطلع.. هذا قول عمر رضي الله عنه.

هذه سكرات الموت على أولياء اللَّه وأحبابه. فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث:

● **الأولى:** شدة النزع كما ذكرناه.

● **الداهية الثانية:** مشاهدة صورة ملك الموت، ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته، وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها.

● ومنه مشاهدة الملكين الحافظين: قال وهيب: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله، فإن كان مطيعًا قالا له: جزاك اللَّه عنا خيرًا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا، وإن كان فاجرًا قالا له: لا جزاك اللَّه عنا خيرًا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩١).

أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك اللَّه عنا خيرًا. فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدًا.

● **الداهية الثالثة**: مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة، فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين: إما أبشر يا عدوّ اللَّه بالنار، أو أبشر يا ولي اللَّه بالجنة. ومن هذا كان خوف أرباب الألباب» ا.هـ.

*** أخي:**

ألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش. أمّا الشهيد فلا يجد من ألم الموت إلا مسّ القرصة... فافهم هذا واعقله.

*** يا إخوتاه:**

بادروا بالأعمال عمرًا ناكسًا، أو مرضًا حابسًا، أو موتًا خالسًا، فإن الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، ومباعد طيّاتكم، زائر غير محبوب، وواتر غير مطلوب.

عظمت فيكم سطوته، وتتابعت عليكم عَدْوتهُ.

وقلَّت عنكم نبوته،

فيوشك أن تغشاكم دواجي ظُلَلِه، واحتدام علله، وحنادس غَمراتِه، وغواشي سكراتِه، وأليم إزهاقه، ودجو إطباقه، وجشوبة مذاقه، فكأنه قد أتاكم بغتة فأسكت نجيكم، وفرق نديكم، وعَفّى آثاركم، وعطل دياركم، وبَعث وراثكم يقتسمون تراثكم، بين حميم خاص لم ينفع، وقريب محزون لم يمنع، وآخر شامت لم يجزع.

* أخي:

«إلى اللَّه فارغب في التوفيق، وإياه فسل العفو عن الذنوب، وبه فاستعن في كل الأمور. فعجبت كيف تقر عينك، أو كيف يزايل الوجل والإشفاق قلبك، وقد عصيت ربك، واستوجبت بعصيانك غضبه وعقابه، والموت لا محالة نازل بك بكربه وغصصه ونزعه وسكراته، فكأنك قد نزل بك وشيكًا سريعًا.

فتوهم نفسك، وقد صرعت للموت صرعة، لا تقوم منها إلا إلى الحشر إلى ربك؛ فتوهم نفسك في نزع الموت، وكربه، وغصصه، وسكراته، وغمه وقلقه؛ وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك، فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك، ثم تدارك الجذب، واستحث النزع، وجذبت الروح من جميع بدنك، فنشطت من أسفلك متصاعدة إلى أعلاك حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه، وعمت آلام الموت جميع جسمك، وقلبك وجل، محزون مرتقب، منتظر للبشرى من اللَّه عز وجل بالغضب أو الرضا، وقد علمت أنه لا محيص لك دون أن تسمع إحدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك.

فبينا أنت في كربك، وغمومك، وألم الموت بسكراته، وشدة حزنك لارتقابك إحدى البشريين من ربك، إذ نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأحسن الصورة أو بأقبحها، ونظرت إليه مادًّا يده إلى فيك، ليخرج روحك من بدنك، فذلت نفسك، لما عاينت ذلك، وعاينت وجه ملك الموت، وتعلق قلبك بماذا يفجؤك من البشرى منه.

إذا سمعت صوته بنغمته: أبشر يا ولي اللَّه برضا اللَّه وثوابه، أو أبشر يا عدو اللَّه بغضبه وعقابه، فتستيقن حينئذ بنجاحك وفوزك، ويستقر الأمر في

قلبك، فتطمئن إلى اللَّه نفسُك، أو تستيقن بعطبك وهلاكك، ويحل الإياس قلبك، وينقطع من اللَّه عز وجل رجاؤك وأملك، فيلزم حينئذ غاية الهم والحزن أو الفرح والسرور قلبك،، حين انقضت من الدنيا مدتك، وانقطع منها أثرك، وحملت إلى دار من سلف من الأمم قبلك.

توهم نفسك حين استطار قلبك فِرحًا وسرورًا، أو ملئ حزنًا وعبرة»[1] .

واعمل لهذه اللحظة... ويا لها من لحظة

* * *

(١) «التوهم» للمحاسبي.